المحاضرة السابعة

السياسة عند أبو نصر الفارابي

870 م – 950 م

توطئة: (الخلفيات الفكرية لفلسفة الفارابي)

يُعد أبو نصر الفارابي (870–950م) واحدًا من أبرز فلاسفة الإسلام في العصر الوسيط، وقد لقّب بـ"المعلم الثاني" بعد أرسطو لما له من دور في نقل وشرح وتطوير الفلسفة اليونانية وخاصة الفلسفة السياسية. وتمثل نظريته السياسية محاولة جادة لدمج الفلسفة مع الشريعة أو العقل مع الإيمان، مما أفضى إلى تأسيس رؤية فلسفية إسلامية للمدينة الفاضلة والمجتمع المثالي كما تصوره أفلاطون.

تأثر الفارابي بالفلسفة اليونانية، خاصة بفكر أفلاطون وأرسطو، وقد حاول أن يصوغ نظرية سياسية تتناسب مع الفكر الإسلامي وتعاليمه. فبينما أخذ من أفلاطون فكرة العالم المثالي ومن أرسطو فكرة الإنسان ككائن اجتماعي وسياسي بطبعه، عمل على تكييف هذه المفاهيم ضمن إطار إسلامي. تحتل النبوة والشريعة مكانة مركزية في مشروعه الفلسفي إذ يرى الفارابي أن الفلسفة لا تتعارض مع الدين، بل إن كليهما يسعيان إلى غاية واحدة ألا وهي تحقيق السعادة الإنسانية. ولهذا فإن السياسة في نظره هي علم يهتم بكيفية تنظيم شؤون المجتمع لتحقيق هذه الغاية.

1- مفهوم المدينة الفاضلة عند الفارابي:

من أبرز إسهامات الفارابي في الفكر السياسي هو تصوره للمدينة الفاضلة، والتي تعادل عنده المدينة المثالية التي تحقق السعادة لأفرادها. ويقابل المدينة الفاضلة مدن أخرى غير فاضلة، "كالمدينة الجاهلة"، و"المدينة الفاسقة"، و"المدينة الضالة"، وكل منها يمثل شكلاً منحرفًا من التنظيم السياسي والاجتماعي. في المدينة الفاضلة، يتولى الحكم "الرئيس الأول"، وهو شخصية تجمع بين الحكمة الفلسفية والخصال

النبوية. ويُشبَّه هذا الرئيس في فكر الفارابي بالنبي أو الفيلسوف الكامل، الذي يقود الناس إلى السعادة عن طريق تعليمهم الحقائق والفضائل وتحقيقه للعدل وكل القيم النبيلة التي أمر بها الدين.

2- صفات الحاكم الراشد أو الفاضل عند الفارابي:

يرى الفارابي أن الحاكم الفاضل يجب أن يتحلى بصفات خاصة، أهمها:

- **الذكاء وفوة البديهة.**
- **حب الحق والعدل وكراهية الظلم.**
- **الشجاعة والإرادة والقوة.**
- **القدرة على التفاوض والإقناع.**
- **الإلمام بالفلسفة والشريعة معًا.**

وهو بذلك يمزج بين صفات النبي وصفات الفيلسوف، ليُنشئ نموذجًا يجمع بين الدين والعقل، في شخص الحاكم الذي يكون أداة لتحقيق الخير العام.

3- السعادة كغاية للممارسة السياسية:

يُعرّف الفارابي السياسة بأنها "تدبير شؤون الجماعة البشرية على نحو يحقق لهم الكمال والسعادة". فليست الغاية من السياسة عنده مجرد حفظ النظام، بل بلوغ السعادة القصوى. وهذه السعادة لا تتحقق إلا إذا أُسّست المدينة على الفضائل، وقادها رئيس حكيم يتبع القوانين العقلية والإلهية. ويعتقد الفارابي أن الناس بطبعهم مختلفون من حيث الفهم والاستعداد، لذلك فإن من واجب الرئيس الأول أن يستخدم الوسائل المختلفة لتوجيههم نحو الخير، سواء عن طريق الإقناع أو التشريع أو التربية.

4- نقد الفارابي للمدن غير الفاضلة:

قسّم الفارابي المدن غير الفاضلة إلى ثلاثة أنواع:

- **المدينة الجاهلة** :التي لا تعرف السعادة الحقيقية وتظن أن غايتها هي اللذة أو المال أو السلطة.
- **المدينة الفاسقة** :تعرف الخير ولكن لا تعمل به.
- **المدينة الضالة** :تتبع عقائد خاطئة وتبتعد عن الحقيقة.

ويُحمّل الفارابي القادة في هذه المدن مسؤولية الانحراف، لأنهم إما يجهلون الحق أو يتجاهلونه. ولهذا فالمطلوب دائمًا هو وجود قيادة حكيمة تعرف الحق وتعمل به.

خاتمة:

تُعد نظرية الفارابي السياسية نموذجًا مبكرًا لفكر يدمج بين الفلسفة والدين، ويبحث في كيفية بناء مجتمع عادل ومزدهر يقوده العقل والفضيلة. ومن خلال تصوره للمدينة الفاضلة وصفات الحاكم المثالي، يقدم الفارابي تصورًا فلسفيًا رائدًا ظل مؤثرًا في الفكر الإسلامي والغربي على السواء. ورغم الطابع المثالي لأفكاره، إلا أنها تظل مرجعًا هامًا لفهم العلاقة بين السياسة والأخلاق، والدين والعقل.